مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد خير البشر، فهذه تأملات تربوية في قصة آدم تعيننا على تثبيت الفطرة الإنسانية في أطفالنا في زمن انتكست في الفطر وبات الإنسان الصالح جوهرة تستحق أن نعين على صناعتها.

الإنسان ذلك المخلوق المكرم المولود بلا علم ولا معلومات ولا قوة ولكنه مولود بكنز الفطرة، الفطرة التي هي البذرة التي ستنشأ منها شجرة الفضائل في قلبه، وعلى رأس تلك الفضائل الإيمان وحسن الخلق وحب الخير، ينال الآباء فرصة رعاية تلك الفطرة في الوليد ليجعلوه إنساناً صالحاً ثم ليدخلوا الجنة بثواب ذلك العمل... فيقومون أحياناً بمهمتهم وينشأ الإنسان الصالح، أو يفشلون فشلاً ذريعاً ويتلفون إنسانية الإنسان وفطرته بجهل وهوى حين يتبعون منهج إبليس في استقبال ذلك المولود.

حتى آدم لم يُخلق ويُترك، بل هناك أحداث وأفعال حصلت للحفاظ عليه لينجح ذلك الإنسان ويعود من الاختبار للجنة بفطرته المؤمنة السليمة، لم يترك الله البشر بلا هداية، منحهم الله في القرآن ما يلزمهم للحفاظ على ما يميز الإنسانية، حدثهم عن آدم وكيف تمت تهيئته قبل النزول وبعده، ليكون إنساناً أصاب و أخطأ، بكى وضحك، نزل وارتقى، ولكنه لم يفقد إنسانيته، بل تعلم وعلم وتاب وأصلح وهو الآن في السماء موعود بالجنة ينتظر ذريته، ويفرح بالذين كانوا صالحين ونجوا، ففي الحديث (فَلَمّا عَلَوْنَا السَّماءَ الدُّنْيَا، فَإِذا رَجُلٌ عَن يَمِينِهِ أسْوِدَةٌ، وعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، قالَ: فَإِذا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمالِهِ بَكي، قَالَ: فَقالَ مَرْحَبًا بالنبي الصَّالِحِ، والابْنِ الصَّالِحِ، قَالَ: قُلتُ: يا جِبْرِيلُ، مَن هذا؟ قال: هذا آدَمُ، وهَذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَن يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَن شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وإذا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى)[1].

[1] رواه البخاري ٣٣٤٢ ومسلم ٢٦٣

ولكيلا يبكي آدم بسببنا، ولا يحرم أولادنا بسبب جهلنا أجمل ما فيهم: ولكيلا نكون أولئك الرعاء الحطمة الذين وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم شر الرعاة، شر أولياء الأمور لأنهم يحطمون الإنسان ولا يصنعونه ولا يبنونه، ثم بالجهل يحولون الإنسان إلى شيطان إنسي أو جندي لإبليس يعيث في الأرض فسادا، أو يعين على الفساد، أو يحولونه إلى شخص حيواني أناني، لا يفعل شيئاً زائداً على الأمور التي تقدر عليها الحيوانات البليدة، يتنقلون بين إشباع المعدة والشهوة واللعب ثم النوم.

فإن كان الإنسان جسداً وعقلاً وقلباً، فالفطرة موضعها القلب وهي التي يريد الله منا العودة بها إليه قبل كل شيء ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (سورة الشعراء: ٨٨).

ولذلك سنتعلم معاً قوانين الفطرة لنعيد أنفسنا للفطرة إن كان المجتمع أفسدها، ثم لنحافظ على فطرة أطفالنا ونربيها، تلك الأمانة الثقيلة والمهمة النبيلة تستحق منا أن نعود لنرى لمحات القرآن حولها في كيفية صناعة الإنسان الأول آدم، نتدبر بالتفصيل ما احتاجه الإنسان قبل النزول للدنيا، لعلنا نستطيع أن نحفظ الأمانة ونربي "آدم الصغير" الذي بين أيدينا على الوجه الذي يرضى الله تعالى.

وعلينا أن نوضح قبل كل شيء، ما نتيجة بقاء الفطرة الإنسانية، ولماذا لا نريدها أن تضيع، فبإمكاننا القول إننا نتحدث عن أثر الفطرة الذي يجعلك تملك:

- ✧ القدرة على التعاطف مع الغير.
- ✧ القدرة على التحكم المعقول بالنفس، ووجود الحياء. والقدرة على التحكم في الغرائز بدلاً من أن تتحكم بك.
- ✧ القدرة على حب التعلم ووجود الطموح للأفضل.
- ✧ القدرة على إسعاد الآخرين وحمايتهم وتحمل المسؤولية.
- ✧ القدرة على الفصل بين الأمور المادية والمعنوية.

- ✧ القدرة على حب الذي خلق الحياة والإيمان به وحب مخلوقاته والشوق للقائه.
- ✧ الفطرة تجعلك محبا لكل شيء جميل لدرجة أن يكون لدينا وسائل تجمل ونظافة اسمها سنن الفطرة.

ما الغرائز؟ الغرائز أخلاق الدواب وطباعها؟ ماذا تفعل الفطرة في الغرائز؟ الفطرة تجعل تدرك أنك لتشبع غريزة الأكل عند الجوع فالأفضل أن تشتري لا أن تسرق تلك وظيفة الفطرة.

الشخص الذي يفقد إنسانيته وفطرته تفقد فيه واحدة أو أكثر أو كل ما سبق بقدر النقص الحاصل في أسباب نشأة الإنسانية، فتجده أنانياً وقحاً، لا يتحكم بنفسه وتتحكم به الغرائز، فاقد للطموح يائس من التغيير، قادر على إيلام الآخرين، لا يقيم الأشياء إلا بثمنها المادي، حتى أمه لأنها لا تحضر له المال لا يعود بحاجة لها، بل قد يعيش كارهاً للأرض ومن عليها ولمن أوجدها، سعادته أن يفسد في الأرض، لذلك هيا معاً نتدبر في الأمور التي أحيطت بها نشأة آدم عليه السلام، لنستعمل تلك الخبرة في تنشئة الإنسان الذي أهدي إلينا.

استقبال آدم

لعل لحظة مجيء صغارنا إلى الدنيا لحظة لا تنسى لدى أكثر الأمهات، رحمة تملأ القلب ولا تشعر أنك تريد فعل شيء قبل تقبيل خد الطفل الطري.

من الناس من يستقبل المولود بالزينة ومنهم من يستقبل المولود بالحلوى والمشروبات، ومنهم من يكون اشترى الملابس والسرير الجديد، وفي السنة النبوية خير الاستقبالات أذان ودعوات، كل هذا لأن الله خلق إنساناً جديداً، آدم الصغير أتى لبيتنا، حتى آدم الأول عليه السلام تم استقباله وتبشير الملائكة بقدومه لم يأت الأمر فجأة للجميع...﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة)، بل وتم خلق المكان الذي سيعيش فيه، ندرك من هذا أن الإنسان مخلوق يستحق أن يجهز البشر لأجله كل ما يمكن، ومع كل هذا البشر اللازم لاستقبال إنسان جديد هناك من يستقبله بالكره!

نعم بالكره، أو أحيانا لا يفكرون باستقباله ويتمنون إجهاضه، يشبهون إبليس في كرهه للخلق الجديد، حمل غير مرغوب فيه أتى بالزنا... ولا يوجد هناك من هو مستعد لاستقباله والفرح به، فالأم لم تنتهي نزواتها والأب لم يؤمن مساحة على الأرض للقادم الجديد للأرض، فهو لا يزال يبحث عن مساحات في أحضان النساء.

هذا كله متصور ممن لا يعرف الله ولا دين الإسلام دين الإحسان، ولكن كيف نبرر أفعال أم فرحت واستقبلت ولما كبر الولد تظل على سمعه تردد يا ليتني لم أنجبكم أنتم غلطة عمري؟ لم تقتله إجهاضاً ولم تقتله إهمالاً ولكنها قتلت إنسانيته، قتلت شعور البشر الذي يحتاجه الإنسان، وذلك أشد تنكيلاً، احتنكها الشيطان وجعلها تبدل نعمة الله كفراً.

من حق الإنسان أن لا يستقبل هذا الاستقبال، أن ينال نعمة تشبه نعمة عيسى ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ (مريم)، من حق الإنسان أن تفعل الأم أي شيء لتحافظ على شرفها حتى يأتي الأب، الأب الصالح الإنسان الذي سيسعده قدوم إنسان.

من حق الإنسان أن يغض والده طرفه عن كل النساء ويجمع المهر ويتزوج أنثى إنسانة ستفرح بقدوم إنسان يكون ولدهما، فهي الودود الولود لا المستقرفة الحقود، إن أول ما يجب أن يحظى به الإنسان أسرة تفرح بقدومه، لهذا نفهم لماذا يحارب الإسلام الزنا والاختلاط والمثلية والبهمية، لماذا يحارب تفكك الأسرة ويجعل وبالوالدين إحساناً بعد لا تعبدون إلا الله.

"تشير أرقام وبيانات رسمية إلى أن معظم الأطفال في بريطانيا بحلول عام ٢٠١٦ سيولدون لآباء غير متزوجين وقد ارتفعت نسبة الأطفال المولودين خارج إطار الزواج إلى ٤٧.٥ بالمئة عام ٢٠١٢، ويتوقع أن تتجاوز هذه النسبة ٥٠ بالمئة في عام ٢٠١٦، ودعا تيم لوتون وهو وزير سابق لشؤون الطفولة الحكومة إلى اتخاذ خطوات للحيلولة دون تحلل النظام العائلي وذلك من خلال تشجيع الزواج"[٢]

"كما بلغت نسبتهم في فرنسا ٦٠% عام ٢٠١٦"[٣]

هذه إحصائيات قليلة قديمة، اعمل جولة في الإنترنت عن عدد اللقطاء والأولاد غير الشرعيين في عدة دول لتصدم بالأرقام واعرف بعدها لماذا عالمهم يعاني أزمة خانقة ضد الفطرة؟ قال أحد الغربيين: الدليل على فشل الإسلام، هو أن المناطق التي يحكمها الإسلام أدنى اقتصادياً من غيرها! قلت في نفسي ومن أخبرك أن الإسلام جاء ليصنع الدراهم!

الدول التي يحكمها الإسلام أعلى ارتباطاً أسرياً، أكثر معرفة بأنسابها، أقل في عدد مواليد الزنا واللقطاء والإجهاض، أقل في عدد كبار السن الذين في الملاجئ، أقل في عدد جرائم القتل[٤]، الدول التي يحكمها الإسلام أكثر في عدد الجمعيات الخيرية التي فيها كفالة اليتيم، وعدد المتبرعين حتى لجمعياتكم من المسلمين دائماً أكثر بأضعاف حسب الإحصائيات في دولكم[٥]، والخيرات

---

[٢] BBC NEWS مقال بتاريخ ١١ يوليو تموز ٢٠١٣.
[٣] الجزيرة من مقال لها بتاريخ ٢٣/٩/٢٠١٨.
[٤] انظر فيديو بعنوان مسلمين أكثر = جرائم أقل على يوتيوب.
[٥] انظر جريدة سكاي عربية نيوز المسلمون الأكثر تبرعا للأعمال الخيرية ببريطانيا.

الاقتصادية لدينا لا تختلف عما لديهم بل مواردنا أعلى والبترول والغاز متركز في مناطقنا... ولكن الفرق في أين يذهب الإنتاج ولمن وهل نحن ننهب ثروات ليست لنا أم لا!

إن قلب الإنسان هو همُّ الإسلام قبل جيبه، وستظل الأسرة أولوية لأجل الإنسان وقلوب أطفال تزهق كرهاً.

"على الصعيد العالمي، ما يقرب من ٢٥ مليون حالة إجهاض غير مأمون (٤٥%) من إجمالي حالات الإجهاض كل عام في الفترة بين عامي ٢٠١٠ و ٢٠١٤، وفقاً لدراسة أجرتها منظمة الصحة العالمية بالتعاون مع معهد غوتماشر"

ستظل الموؤودة تلك التي قتلت ظلماً ولم تجد من يفرح بها، لا تشعر بأنها بغير ظهر يحميها ويأخذ حقها، بل هي عزيزة بالله، لا يكلم الله قاتلها ويكلمها تكريما لها، ﴿وَإِذَا الْمَوْءودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾.

حتى الذي ولد ولم يجهض ثم قوبل بشيطان الكراهية والإهمال متمثلاً في والده أو والدته يلقيانه في قمامة أو في مرحاض -أكرم الله الموضوع فيها والقارئين- عليه أن يعتز بالله، على الإنسان أن يتخلص من شعور أنه مهين، بل يشعر أن كل من احتقره سيكون مصيره مصير إبليس ذلك الذي احتقر آدم الأول، ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الحجر).

وسنظل ممتنين للذين تزوجوا بالحلال وانتظروا قدوم أطفالهم واستقبلوا آدم الصغير بالفرح وظلوا لليوم يخبرون أطفالهم كم هم بهم فرحين.

الواجب الأول:

اجلسي مع أطفالك أخبريهم بلحظات قدومهم وعن فرحك بهم وأنك فرحة بهم حتى اليوم.

ابحثي عن ثلاثة أمور من السنة في استقبال المولودوكيف استقبل النبي عليه السلام ابنه إبراهيم.

أخبريهم عن نعمة الإسلام علينا، وأننا ربما كنا سنجهض أو نرمى أو نهمل أو نتعرض للوأد لولا الإسلام.